علم النفس حسب طريقتنا لتقل غير هيّابين ولا محاذرين ان علم النفس وهو اكثر العلوم ارتباطاً بالماديات غير مضطرّ ان يسلم بالقضايا المجردة مهما كان نوعها بناء على انها امور مستنتجة من اوليات ثابتة كما ان العلوم الطبيعية لم تبنَ على مقدمات مجردة يقينية لا ريب فيها

من المحتمل ان يفضي البحث برجال العلم الى الاتفاق على ان في الكون نوعين من الافعال الفعل الميكانيكي والفعل العقلي اي المقصود او الفعل الجاري على ما قُدّر لهُ اصلاً والفعل الذي يخلق ويجدد عن قصد او الفعل الطبيعي والفعل العقلي . وقد نعرف اخيراً ان هذين الفعلين من قبيل واحد واحد هما صورة ظاهرة للآخر ولكننا حسبناهما اثنين مختلفين بسبب ما في فهمنا من القصور والنقص . اما الآن فلا نستطيع تقرير ذلك ولا نفيهُ . ولكن اذا جاز لي ان اتنبأ بما ينتهي اليهِ العلم في امر هذين النوعين من الافعال فاني ميال الى الاخذ برأي اكبر العقول التي بحثت في كل العصور وهو ان الافعال المقصودة التي هي من مظاهر العقل هي الافعال الحقيقية وان الافعال الطبيعية او الآلية انما هي من مظاهرها

المغاث والقلقل

Glossostemon Bruguieri & Hibiscus Cannabinus

المغاث والقلقل نباتان حار في امرهما اطباء العرب والذين اخذوا عنهم من الافرنج . والمعروف عن المغاث في ايامنا انهُ نبات تسحق عروقهُ وتطبخ كما يطبخ السحلب ولكن بالماء لا بالحليب وهو مشهور في مصر ولا يعرفهُ بهذا الاسم الا اهل مصر وتجار بغداد الذين يرسلونهُ الى مصر ولا يستعملهُ غير المصريين في ما اعلم . اما اسمهُ المعروف بهِ عند عامة البغاددة فهو « عرب قوزي » اي جوز العرب بلغة التركمان الذين في كركوك وتلك النواحي سموهُ بذلك لان بعض العراقيين يأكلون حبهُ كما يؤكل الحمص المملح

وقد ورد ذكر المغاث في كثير من المؤلفات العربية على ان الذين ذكروهُ لم يروا منهُ على ما يظهر سوى العروق او الحب لذلك اخطأوا في وصفهِ او لم يصفوهُ لما اقتصروا على ذكر خواصهِ كما فعل ابن البيطار فانهُ كان كثير التدقيق في وصف النباتات التي رآها لذلك لم يصف المغاث لانهُ لم يرهُ

وهاك ما جاء في تاج العروس عن المغاث قال « والمغاث كغراب شجرة وقيراطان من عرقه مقرىء معهل وفي نسخة اخرى (اي من الفيروزابادي) وكغراب نبات في عرقه حمية شرب حبة منهُ يسهل ويقيء بافراط جداً . ثم ان هذه الخواص التي ذكرها (اي الفيروزابادي) غريبة لم يتعرض لها الاطباء . قال ابن السكيتي في ما لا يسع الطبيب جهلهُ مغاث هي عروق تجلب الى البلاد وهي حارة رطبة في اواخر الثانية اجودها البيض المشة الثالثة الى صفرة وهو ممسن مقوٍّ للاعضاء جابر لوهنها نافع من الكسر والرض ضماداً وشرباً ينفع من النقرس والتشنج ويلين صلابة المفاصل ويحسن الصوت ويجلو الحلق والرئة ولم نقف لهُ على ماهية غير ان الذين يذكرون عنهُ يقولون كذا . وقيل انهُ عروق الرمان البري وليس بثبت وقيل انهُ نوع من السورنجان وهذا غير مستبعد . وابسط منهُ قول الحكيم في التذكرة مغاث نبت بالكرج وما يليها يكون عروقاً بعيدة الاغوار في الارض غليظة عليها قشر الى السواد والحمرة تكشط عن جسم بين بياض وصفرة اجودهُ الرزين الطيب الرائحة الضارب الى حلاوة مع مرارة خفيفة ولم اعرف كيفيتهُ باكثر من هذا لكن بلغني ان لهُ اوراقاً خشنة عريضة كاوراق الفجل وزهراً ابيض وبزراً كانهُ حب السمنة ويسمى القلقل ومن ثم ظن انهُ الرمان البري وقيل انهُ ضرب من السورنجان وتبقى قوتهُ نحو سبع سنين ومنهُ نوع يجلب من عبادان نحو الشام ضعيف الفعل وهو المستعمل في مصر »

فما ذكرهُ الفيروزابادي خطأ كما بيَّن صاحب التاج وليس في « ما لا يسع » غير وصف العروق وخواصها . ومن الغريب قول صاحب « ما لا يسع » وهو بغدادي ان المغاث يجلب الى البلاد ولعلهُ يريد مدينة بغداد وما يليها لان المغاث ينبت في البلاد التي هي الى الشرق من بغداد . اما قول صاحب التذكرة ان المغاث اوراقاً خشنة عريضة وعروقاً طويلة غليظة فصحيح لكن زهرهُ ليس ابيض ولا بزرهُ هو القلقل

ولا فائدة من ذكر ما نقلهُ ابن البيطار عن ابن سينا فانهُ لا يخرج مما جاء في « ما لا يسع » من وصف خواص المغاث . ولا يخفى ان مفردات ابن البيطار ترجمت غير مرة الى اللغات الاوربية وخير هذه الترجمات ترجمة لكلار غير ان لكلار لم يتمكن من معرفة المغاث ولم يسمهِ باسمهِ الثاني وانا ذكر في حاشية لهُ في آخر هذه المادة ما ترجمتهُ

« قال ابن سينا والشيخ داود ان المغاث عروق الرمان البري فاذا كان الامر كذلك فالرمان البري شجرة او جنبة ليس بينها وبين الرمان الا علاقة بعيدة . وقال

الشيخ داود ان عروقهُ غليظة طويلة بيضاء مائلة الى الصفرة . وقال الدكتور برُّون في كتاب الناصري[1] انهُ الاروالنتة وقولهُ هذا لا يزيدنا ايضاحاً. وكان في المعرض المصري الذي اقيم في سنة ١٨٦٧ عروق بهذا الاسم صفاتها كما تقدم . وقال شرّاح ابن سينا ان المغاث كثير في دمشق وانهُ يستعمل فيها لوجع الظهر »

اما الاروالنتة Ervalenta ويقال الروالنتة فهي مسحوق ادخلهُ بعضهم الى اوربة وسماهُ بهذا الاسم واتضح بعد ذلك انهُ دقيق العدس . وقيل ان المغاث هو ما يسميه الفرنسيون ركاهو Rokahout وهو في المؤلفات الفرنسية مطبوخ فيه سحلب فارسي ولكن ما هو السحلب الفارسي اهو السحلب المعروف او هو المغاث فاذا كان المغاث فما هو نباتهُ . ثم اني سألت تجار مصر عن المغاث فقالوا انهُ يجلب من بغداد فسألت البغاددة فاذا هم لا يعرفونهُ ولا يستعملونهُ كما يستعملهُ اهل مصر ثم علمت أن بعض تجارهم يعرفونهُ بهذا الاسم ويجلبونهُ من كركوك والسليمانية وكفري وغيرها من الاماكن الواقعة الى الشرق من بغداد وان اسمهُ هناك عرب قوزي كما تقدم. واتفق ان لقيت في شهر نيسان الماضي محمود نديم بك متصرف الحلة وكان يومئذٍ قائمقام خانقين فوعدني بنموذج منهُ فلم تمض ايام حتى ارسل اليَّ نموذجين كاملين قد اقتلعا مع عروقهما وكان عليهما ازهار كثيرة وعلى احدهما ثمرة فارسلتهما الى مدير الزراعة في بغداد فبعث بهما الى الدكتور غرام مدير الزراعة السابق في زمن الاحتلال واستاذ النبات في جامعة ادنبرج في الوقت الحاضر وهو اخبر العلماء بنبات العراق فاجاب على الفور بما ترجمتهُ

« ان الاسم العلمي لهذا النبات هو غلشوستيمن بروغيار واني لا ارى علاقة بينهُ وبين المغاث المذكور في المؤلفات العربية والذي اعلمهُ عنهُ انهُ نبات كثير الاضرار بالمزارع في ولاية الموصل

« وهو مرسوم في كتاب صور النباتات لهوكر المطبوع في سنة ١٨٩٧ والصورة رقمها ٢٥٤٢ وهي منقولة عن نموذج أرسلهُ الكلونل مكلر وسماهُ المغاث وقال ان حبهُ يؤكل لكنني لا اظن ان المغاث المصري هو المغاث العراقي ولو كان الاسم واحداً

(١) هو كتاب في البطارة اسمهُ كامل الصناعتين الفهُ صاحبهُ للملك الناصر بن قلاوون ونقلهُ الدكتور برون الى اللغة الفرنسية في اواسط القرن الماضي لكنهُ لم يطبع الاصل العربي لي ما اعلم والكتاب حسن جداً

«ومن الغريب ان يعود البحث في مسألة الملفاث واسمه بعد مضي ثلاثين سنة وأني اكون شاكراً لكم فضلكم اذا ارسلتم اليّ شيئاً من بزره لازرعهُ في حديقة النبات»

فكتبت اليهِ انهُ لا شبهة عندي في ان هذه العروق المستعملة في مصر والتي يسميها اهل مصر بالملفاث هي عين العروق التي يرسلها تجار بغداد الى مصر ويسمونها بالملفاث وأني رأيتها هنا وفي مصر وهي عروق هذا النبات المعروف عند عامة البغاددة بعرب قوزي فاجاب يقول انهُ ظن في اول الامر ان الملفاث المصري ينبت في مصر ولعلهِ ان الملفاث العراقي لا ينبت فيها قال ان النباتين مختلفان اما وقد علم الآن ان الملفاث يجلب الى مصر من العراق فالنباتان واحد

فالملفاث هو عروق هذا النبات المعروف عند العلماء بغلصوستيمن بروغيار وهو من الفصيلة الخبّازية التي منها الخطمي والخبازى والبامية والقطن والنيل وكلها مشهورة في الشرق والملفاث لا يختلف عن سائر نباتات هذه الفصيلة في صفاتها العامة المعروفة عند النباتيين . اما صفاته الخاصة فهي هذه

هو نبت حولي من الجنسية يبلغ ارتفاعهُ نحو المتر . لهُ ساق غليظ مثل ساق الخطمي واوراق خشنة مستديرة يبلغ قطر الواحدة منها خمسة وعشرين سنتيمتراً وازهار صغيرة ارجوانية اللون كثيرة الاسدية . وثمر في حجم الجوزة داخلهُ حب في قدر الحمص له لب دهني وطعم كطعم الشهدانج اي بزر القنب . اما عروقهُ فكما وصفها الشيخ داود في التذكرة

اما القلقل فهو اسم لنباتين مختلفين احدهما من الفصيلة القرنية (البقلية) والآخر من الفصيلة الخبازية اي من فصيلة الملفاث لكنهُ ليس بهِ كما ذكروا بل هو البامية القنبية المعروفة في مصر بالتيل . وهاك ما جاء في ابن البيطار عن القلقل

(ابو حنيفة) هو شجرة خضراء تنهض على ساق ونباتها الاكام دون الرياض ولها حب كحب اللوبياء حلو طيب يؤكل والسائمة حريصة على اكلهِ ومنابتهُ الغليظ والجلد من الارض ويقال القلقل وقلقلان وقلاقل . وقال ابو عمر القلقلان احمر يطون الورق احمر ظهورها والقلقل من النبات الذي اذا جفَّ ثم هبت عليهِ الريح كان لهُ جرس وزجل (كتاب الرحلة) هو معروف بالعراق مزدرع على السواقي في مزارع القطن وغيره فيعظم شجرهُ حتى يكون في قدر الشهدانج المتوسط ويتخذ منهُ الارشية كما يتخذ من القنب وهو عندهم اجب في الماء من ذلك وورقهُ ثلاث ثلاث متسبية

الشكل وشهدانية الشكل ويكون ايضاً حبهُ في كل معلاق الا انهُ اقل تشريقاً واصلب واقصر وخضرتها مائلة الى الدهمة وساق شجرتها الى الحمرة فيها قليل زغب وطعم الورق مرّ وزهرهُ قطني الشكل الا انهُ اميل الى البياض وثمرهُ في اوعية خشنة على شكل بزر الشوكة الطويلة الا انهُ اكبر نحو من نوى القرطم في القدر ولونهُ اغبر وطعمهُ حلو وفيهِ لزوجة وقد ازدرعتهُ في بلادنا فاعجب

وقال لكلار نقلاً عن فورسكال ان القلقل هو Cassia tora وفورسكال ثقة يعول عليهِ فلا شبهة في ان القلقل الذي رآهُ في اليمن هو هذا النبات الذي ذكرهُ اي القاصية التي منها السنا والخيار شنبر وهي كما لا يخفى من الفصيلة القرنية وينطبق وصفها على ما جاء في ابن البيطار عن القلقل نقلاً عن ابي حنيفة الدينوري وعلى معظم ما جاء عنهُ في تاج العروس لكنهُ لا ينطبق على ما ذكرهُ ابو العباس النباتي صاحب كتاب الرحلة عن القلقل الذي رآهُ في العراق ووصفهُ وصفاً دقيقاً وهو القلقل الذي ظن بعض مؤلفي العرب انهُ المغاث . وهذا الفرق ظاهر من مقابلة ما ذكرهُ ابو حنيفة وما ذكرهُ صاحب الرحلة فالذي وصفهُ صاحب الرحلة هو الباميه القنبية المعروفة في مصر بالتيل وعند الانكليز بقنب الدكن واهل العراق يزرعونها في ايامنا ويسمونها القلقل لكنهم يلفظون القاف كالجيم المعطشة وهذا شائع عندهم فيقولون المنتفج والجتّ وجاسم وعجيل وكلهُ بالقاف

والباميه القنبية هذه منبتها الاصلي في الهند ثم نقلت من الهند الى العراق فرأى العراقيون بعض الشبه بينها وبين القلقل المعروف عند العرب فسموها باسمهِ وهذا كثير في جميع اللغات . ولعلّ لفظة التيل مصرية الاصل وكانت تطلق قبلاً على الكتان او على نبت آخر شبيه بهِ فلما زرعت الباميه القنبية في مصر اطلق عليها المصريون اسم التيل والدليل على ذلك ان التيل او القلقل دخيل في مصر فابو العباس النباتي وتلميذهُ ابن البيطار اقاما زمناً في مصر لكنهما لم يذكرا زراعتهُ فيها فلو كان معروفاً في ايامهما لما فاتهما ذكرهُ

هذا واني مرسل اليكم مع هذا البريد علبة صغيرة فيها شيء من بزر المغاث وبزر القلقل وجبذا لو ارسلتم قليلاً من بزر المغاث الى ادارة الزراعة لاجل تجربة زراعتهِ فان الاماكن التي ينبت فيها هنا من تلقاء نفسهِ لا تختلف كثيراً في تربتها وهوائها عن مصر

بغداد الدكتور امين المطوف